مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد التاسع عشر / شوال - ذو القعدة ١٤٢٧هـ أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٦م

- حب الوطن عند النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم
- المخطوطات التي نسخت في المدينة المنورة
- من أعلام المدينة المنورة في العصر الحديث
  الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله
- النشاط الإشعاعي في المدينة المنورة

١٩

حب الوطن
عند النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

د. علي عائش المزيني
الجامعة الإسلامية ـ كلية الدعوة وأصول الدين

مُقَدِّمَة في أسباب الكتابة في هذا الموضوع :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فإن الكتابة في هذا الموضوع في هذا الوقت خاصة مطلب ملح ، وذلك لثلاثة أسباب هامة :

الأول : للأحداث المتسارعة التي يشهدها العالم، ونحن جزء من هذا العالم نؤثر فيه ونتأثر به، وإننا نرى بلادنا ، بلاد الحرمين وقبلة المسلمين وقد رماها الأعداء عن قوس واحدة ، وتكالبت عليها قوى الشر والعدوان من كل جانب، تروم النخر في جسدها ، والعبث بمقدراتها ، والنيل من عزتها وكرامتها على أيدي :

١ - إما أغرار أحداث في الداخل، يفجرون ، ويدمرون ، ويهلكون الحرث والنسل.

٢ - وإما روابض من أبناء جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، اتخذوا من بلاد الكفر ملاذًا وملجأ ، يسددون منها سهامهم نحونا بدعوى (الإصلاح)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

زعموا ، وما علموا ، أو علموا فعموا وصموا أنهم حراب يغرسها الأعداء في نحورنا في الوقت المناسب ، لنعود وإياهم كما كنا في الماضي أمة على هامش الأمم ، عنواننا الجهل ، والمرض ، والفقر ، والتخلف، مسرحًا لعربدة الكبار من أعدائنا ، يقضون فينا بأهوائهم، ويقتسمون ثرواتنا فيما بينهم.

٣ - وإما أعداء تقليديون، قد ظهر مكرهم، وبدت البغضاء من أفواههم، في الداخل والخارج، رفعوا عقيرتهم بأفكار هدامة، وعقائد منحرفة، وقد كانوا في الماضي القريب لا يتكلمون إلاّ على استحياء.

أفرزت هذه الأحداث موضوعات هامة على الساحة الفكرية منها موضوع (الوطن) ما له وما عليه، وكثر الحديث في هذا الموضوع بدافع الغيرة على الوطن باعتباره الدرع الواقي للدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والعرض.

ومع أننا كنا إلى عهد قريب لا نظن أن موضوعاً كهذا بحاجة إلى الكتابة فيه؛ لاتفاق الناس عليه، وعدم اختلافهم فيه، لسلامة فطرهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وأذواقهم، حتى أنه خلت منه معظم مؤلفات المتقدمين، إلاَّ أن الأحداث التي شهدتها الساحة مؤخرًا وما صاحبها من كتابات في هذا الموضوع دلت في كثير من الأحيان على خلط عند البعض في فهم هذا الموضوع، ورؤية غير واضحة، وتداخل أحيانًا مع موضوعات أخرى، مما نتج عنه أحيانًا اتهام البعض بضعف المواطنة، أو قلة الغيرة على الوطن، أو التآمر على الوطن أحيانًا.

وإذا كانت الكتابة في هذا الموضوع مطلبًا ملحًا على الغيورين من الكتاب، والمفكرين، والمثقفين، والأدباء، والدارسين، فإنه يجب على

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أهل الاختصاص من الباحثين، وطلاب العلم في الجامعات، ومراكز الأبحاث التصدي لهذه القضية؛ ليأخذ الناس عنهم الموقف منها على بينة، وعلم، وهدى، ونور، وبصيرة.

وإن البحث في مثل هذه القضية لهو من صميم عمل الباحثين والدارسين، وطلاب العلم، فهي من القضايا اليومية الساخنة المطروحة على الساحة الفكرية المعاصرة، والتي تهم المجتمع بأسره، وإذا تأخر عنها هؤلاء تصدى لها غيرهم، ممن هم دونهم، فأتوا فيها بالعجائب، وصاروا بتأخرهم هذا مشاركين في خذلان وطنهم وأهله، لتقصيرهم في نصرته والدفاع عنه، وربما أتى عليهم زمان قالوا فيه كما قال الأول: أكلت يوم أكل الثور الأبيض[1]، ولات ساعة مندم.

الثاني : تحرّج البعض من الانتساب إلى أوطانهم، فإنك إذا سألت بعض الناس: من أي البلاد أنت؟ قال لك: أنا مسلم؟ وتحاشى أن يذكر القطر الذي ينتمي إليه، والبلد الذي فيه نشأ، ومنه درج؛ بحجة أن تلك البلاد ربما كانت بلاد كفر، أو بلاد ذنوب ومعاصي وآثام، أو بحجة أنه يريد أن يجمع الناس على الإسلام، ولا يفرقهم على الأوطان، حتى قال قائلهم: (الحمد لله الذي جمعنا على العقيدة والدين، ولم يجمعنا على النسب والطين) [2].

الثالث : جمعاً للمتفرق في هذا الموضوع، وهو كثير، مع خلو الساحة -فيما أعلم - من مثل هذا الجمع، مع أن المتحدثين فيه كثير، وخاصة في السنين الأخيرة ، حين دعت الحاجة إليه، في الندوات، والمحاضرات،

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢٥/١، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت. وصبح الأعشى للقلقشندي ٣٥٢/١، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.

(٢) مفهوم الوطنية لزين العابدين الركابي ص ٧، غيناء للنشر، ط١، الرياض، ١٤٢٦هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والأشرطة الصوتية، والمؤلفات، وغيرها.

لهذا فقد عزمت على التصدي لهذا الموضوع من خلال سيرة رسول الله ﷺ وبعض أصحابه لمعرفة موقفهم منه ، أخذًا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقوله تعالى: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣)، وقول رسول الله ﷺ: [**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**] [(١)]. وقوله ﷺ: [**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي، الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**] [(٢)]. وقول ابن مسعود رضي الله عنه : (من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) [(٣)].

---

(١) الموطأ لمالك ٨٩٩/٢ برواية يحيى الليثي، دار الكتب العلمية، بيروت، (باب النهي عن القول بالقدر)، والتمهيد لابن عبد البر ٣٣١/٢٤، تحقيق سعيد أحمد أعراب، توزيع مكتبة الغرباء الأثرية، والاستذكار ٢٦٥/٨، (باب النهي عن القول بالقدر) تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوّض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، وذكره الألباني في الصحيحة ٣٦١/٤، مكتبة المعارف، ط٤، الرياض ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) السنة لابن أبي عاصم ص ٤٦ (٥٤)، بتحقيق الألباني(وصححه) ، المكتب الإسلامي ، ط ٤، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم (١٨٠٧، ١٨١٠)، تحقيق الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، وبنحوه عن ابن عمر والحسن وقال محققه: ((لا بأس به)) وانظر: شرح السنة للبغوي ٢١٤/١، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، والحلية لأبي نعيم (عن ابن عمر) ٣٠٥/١، دار أم القرى، القاهرة، ومشكاة المصابيح للتبريزي ٦٧/١ (١٩٣)، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، وحكم الألباني على إسناده هناك بالانقطاع.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولست أزعم أنني أول من طرق هذا الموضوع، أو أنني سآتي فيه بما لم يأت به الأولون، أو أنني سأوفيه حقه من البحث والدراسة، ولكنه اجتهاد أرجو الأجر على صوابه، والعفو عن تقصيره وزلاته.

وأناشد كل من قرأه أن يحسن الظن بي ، ويسدد خطأي فإن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ....

تعريف الوطن

الوطن هو المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، يقال: وَطَنَ بالمكان وأوطَنَ: أقام. وأوطنه: اتخذه وطنًا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا: أي اتخذها محلاً ومسكنًا يقيم فيها. وأوطنت الأرض، ووطّنْتُها توطينًا، واستوطنتها أي اتخذتها وطنًا. والمَوَاطن: كل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له[١].

((وكل أمة لابد لهم من وطن)) [٢].

بل كل مخلوق لابد له من وطن.

وتتعدد أسماء أوطان المخلوقات فيقال: وطن الإنسان، وعطن البعير، وعرين الأسد، ووجار الذئب والضبع، وكناس الظبي، وعش الطائر، وقرية النمل، وكور الزنانير، ونافقاء اليربوع[٣].

أقسام الوطن

ويقسم بعضهم الوطن باعتبار المآل والمصير إلى قسمين:

---

(١) اللسان لابن منظور ٤٥١/١٣ (وطن)، دار الفكر ودار صادر، بيروت.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٧٠، تحقيق خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) المدهش لابن الجوزي ٤٢، تحقيق مروان قباني، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ ، وفتح الباري لابن حجر ٤١٢/٦، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان ، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وطـــــــن

فالوطن الحقيقي هو (الآخرة) قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ (غافر: ٣٩). قال الزمخشري في تفسيرها: ((افتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها؛ لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله، ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة، وثنَّى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن والمستقر))[١].

وقال ابن القيم: ((الدنيا مجاز والآخرة وطن، والأوطار إنما تطلب في الأوطان))[٢].

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥): ((نبه على أننا في هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين بل دخلناه عابري سبيل، فلا يحسن أن نتخذه وطنًا ومستقرًا، وإنما دخلناه لنتزود منه إلى دار القرار، فهو منزل عبور، لا مستقر حبور، ومعبر وممر، لا وطن ومستقر، فتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته، ووحدانيته، وقدرته، وحكمه، ولطفه، والتذكير بنعمه، وإحسانه، والتحذير من الركون إلى الدنيا، واتخاذها وطنًا ومستقرًا، بل نسرع فيها السير إلى داره وجنته))[٣].

وقال أيضاً: ((ومن علامات (صحة القلب) أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلى هذه الدار غريباً، يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه، كما قال عليه السلام

(١) الكشاف للزمخشري ٣٧٢/٣، دار المعرفة، بيروت.

(٢) الفوائد لابن القيم ٥١/١، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٣) الفوائد ١٨/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لعبد الله بن عمر: [**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور** ...] وكلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها))[(١)].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ :((إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب، وغداً حساب ولا عمل))[(٢)].

وقال المناوي في التعليق على قول رسول الله ﷺ السابق لابن عمر: ((أي عش بباطنك عيش الغريب عن وطنه بخروجك عن أوطان عاداتها ومألوفاتها بالزهد في الدنيا والتزود منها للآخرة فإنها الوطن، أي أن الآخرة هي دار القرار، كما أن الغريب حيث حل نازع لوطنه، ومهما نال من الطرف أعدها لوطنه، وكلما قرب مرحلة سره، وإن تعوّق ساعة ساءه، فلا يتخذ في سفره المساكن والأصدقاء، بل يجتزيء بالقليل قدر ما يقطع به مسافة عبوره ... فهو كعبد أرسله سيده في حاجة، فهو إما غريب أو عابر سبيل، فحقه أن يبادر لقضائها ثم يعود إلى وطنه، وهذا أصل عظيم في قصر الأمل، وأن لا يتخذ الدنيا وطناً وسكناً، بل يكون فيها على جناح سفر، مهيأً للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا جميع الأمم))[(٣)].

وقال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤٢)، وما في معناها

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ٨٤/١، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، والحديث في صحيح البخاري مع الفتح وغيره ٢٣٧/١١ (٦٤١٦).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢٣٩/١١ (باب في الأمل وطوله). وإغاثة اللهفان ٨٤/١.

(٣) فيض القدير للمناوي ٥١/٥، ٥٢، دار المعرفة، بيروت.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من آيات قال: ((فعلى العاقل منا معاشر بني آدم أن نتصور الواقع ونعلم أننا في الحقيقة سبي سباه إبليس بمكره وخداعه من وطنه الكريم إلى دار الشقاء والبلاء، فيجاهد عدوه إبليس ونفسه الأمارة بالسوء حتى يرجع إلى الوطن الأول الكريم، كما قال العلامة ابن القيم تغمده الله برحمته:

ولكننا سبي العدو فهل ترى نرد إلى أوطاننا ونسلم))[1]

وقال الشاعر:

الروح عند إله العرش مبدوءة وتربة الأرض أصل الجسم والبدن

قد ألف الملك الحنان بينهما ليصلحا لقبول الأمر والمحن

فالروح في غربة والجسم في وطن فاعرف ذمام الغريب النازح الوطن[2]

ومعنى الأبيات: إن وجود الروح في الجسد يعتبر من أنواع الغربة عن الوطن؛ لأن الروح من أمر الله، والجسد من التراب، وشتان ما بينهما، فالروح في غربة ما دامت في هذا الجسد، والغريب له حقوق يجب أن تراعى حتى يأتي يوم رجوعه إلى وطنه الذي نزح منه.

الوطن

أما الوطن المجازي فهو (الدنيا) التي يعيش فيها الإنسان ما كتب الله له فيها من عمر، ثم ينتقل عنها إلى الوطن الحقيقي (الآخرة)، إما إلى جنة وإما إلى نار.

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٢٥٤/١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، وانظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٩، ٢٠، تحقيق سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، وإغاثة اللهفان ٨٤/١. وشرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ٥٤٣/٢، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) تفسير الرازي ٥٤/١٥، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ -١٩٩٠م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والنوعان من الوطن بينهما تداخل، ويكملان بعضهما ، لكن ليس بينهما تعارض، ولا يلغي أحدهما الآخر، ولكل منهما حقيقته، وحقوقه، وواجباته، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص: ٧٧).

وستسلط الدراسة الضوء فيما يأتي من مباحث على النوع الثاني من أنواع الوطن، وهو الوطن المجازي (الدنيا)، وهذا أوان الشروع فيما قصدنا إليه، والله الهادي والموفق للصواب، عليه نتوكل وبه نستعين.

الفترة المكية

الرسول ﷺ يبحث عن وطن

أمضى النبي ﷺ السنين الأولى من حياته قبل النبوة في مكة يمارس المواطنة فيها بشكل اعتيادي كما يمارسها غيره، يخرج منها ويعود إليها، ويتنقل بين أطرافها وجنباتها بحرية كاملة، ويمارس أنشطته في هدوء واطمئنان، ويقضي معظم أوقاته كما يقضيها بقية أهله وقومه وعشيرته وأصحابه.

إلا أنه بعد النبوة تبدلت الأحوال وتغيرت الظروف، وذلك حين رفض قومه دعوته ، وأظهروا عداوته وضيقوا عليه، وآذوه هو وأصحابه حتى ضاقت عليه مكة بما رحبت، وأصبح فيها شريداً طريداً، كأنه غريب الوطن[1]، لا يأمن على نفسه، ولا يستطيع أن يمارس دعوته، وليس بأصحابه قوة يمنعونه.

(١) انظر: صحيح البخاري ٦٤٤/٧ (٤٣٣٠)، وصحيح مسلم ٧٣٣/٢ -٧٣٩ (١٠٥٩ -١٠٦٢)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فأخذ يبحث له عن وطن آخر يأوي إليه ويأمن فيه ليمارس دعوته فيه بقدر أكبر من الحرية، فقد صح عنه ﷺ أنه حين كان يعرض الإسلام على الناس في مكة كان يقول لهم: [**من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة**] [(١)]. والإيواءالذي ينشده، ويعطى عليه الجنة لا يكون إلا بمأوى، والمأوى هو الوطن الذي يأمن فيه، ولا أمن في وطن إلاَّ بأتباع يمنعونه، وبدون ذلك لا يكون وطنًا ولو كان بين أهله وقومه، بدليل أنه كان ﷺ يطلب الإيواء من الناس وهو مقيم بين قومه وفي ربوعهم، فكان فاقدًا للمأوى وهو مقيم، وفاقدًا للنصرة وهو بين أهله، مع أنه ﷺ كان بارًا بقومه، فعرض عليهم الإسلام قبل غيرهم عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٢١٤).

ولهذا فقد أذن ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة وحثهم عليها قائلاً لهم : [**إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً**] [(٢)] ، لما رأى المشركين يؤذون أصحابه، وهو غير قادر على كفهم، والدفاع عن أصحابه .

كما ثبت أنه ﷺ من أجل ذلك انتقل إلى الطائف، ثم عاد منها إلى مكة بعد فترة قصيرة قضاها فيها [(٣)].

إلى أن هيأ الله له نفراً من أهل المدينة بايعوه في العقبة الثانية على

(١) مسند أحمد ٣٤٧/٢٢ (١٤٤٥٦)، ٢٢/٢٣ (١٤٦٥٣)، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، وصحيح ابن حبان ١٧٣/١٤ (٦٢٧٤)، ٤٧٥/١٥ (٧٠١٢)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ، ١٤١٢هـ -١٩٩١م.

(٢) السيرة لابن هشام ٣٢١/١، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وصحيح السيرة السيرة للألباني ١٧٠ (وصححه) ، المكتبة الإسلامية، ط١، عمّان، ١٤٢١هـ.

(٣) سيرة ابن هشام ٤١٩/١ ، وصحيح البخاري مع الفتح ٣٦٠/٦ (٣٢٣١) وانظر معه الفتح ٣٦٣، ٣٦٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(الإيواء والنصرة) [١] فهاجر إليها، وصارت له مأوى، وأهلها له أنصار، وما زال لسانه لهجاً بحمد الله وشكره على هذه النعمة التي توفرت له، روى أنس رضي الله عنه -وهو لم يلازم النبي ﷺ إلا في المدينة -أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: [**الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**] [٢]، وذكر النووي من معاني قوله: ((ولا مؤوي)): أي لا وطن له ، ولا سكن يأوي إليه [٣].

وقد امتنّ الله على المسلمين بهذا الإيواء: فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٤] ، مما يدل على أهميته وعظيم أثره .

وهذا الخروج الذي تعرض له النبي ﷺ لم يلجأ إليه مختاراً بل اضطر إليه اضطراراً ، واعتبرت قريش مسؤولة عن دفع الرسول ﷺ وأصحابه للخروج من وطنهم (مكة)، وقد سطر القرآن هذه المسؤولية في عدد من آياته منها قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (التوبة: ٤٠) ، وقال تعالى : ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾

(١) فتح الباري ٨٦/١، ٢٦١/٧، ٢٦٣.

(٢) صحيح مسلم ٢٠٨٥/٤ (٢٧١٥).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٤/١٧، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت.

(٤) الأنفال [٢٦]، وانظر تفسير ابن سعدي ١٩٧/٢، تحقيق محمد زهري النجار، دار المدني، جدة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٥) الممتحنة [١] وانظر تفسيرها عند ابن كثير ٣٤٧/٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(محمد: ١٣) وقال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾[1] وقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

ويندرج هذا الخروج الذي تعرض له النبي ﷺ وأصحابه تحت أصل عظيم من أصول الدين وهو (الفرار بالدين من الفتن)، وإبراهيم الخليل عليه السلام هو أول من فعل ذلك، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأنبياء: ٧١)، قال الشنقيطي في تفسيرها: ((وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الفرار بالدين من دار الكفر إلى بلد يتمكن فيه الفار بدينه من إقامة دينه واجب، وهذا النوع من الهجرة وجوبه باق بلا خلاف بين العلماء))[2]. وقال تعالى عنه أيضًا: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ (الصافات: ٩٩)، قال القرطبي في تفسيرها: ((هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلّصه الله من النار قال: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي، فإنه سَيَهْدِيني فيما نويت إلى الصواب))[3].

ثم بيّن تبارك وتعالى في موضع آخر أنه عوَّضه عن فراق وطنه ذلك بالذرية الصالحة[4]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ (مريم: ٤٩).

---

(١) الإسراء [٧٦] وانظر تفسيرها عند ابن كثير ٥٣/٣.

(٢) أضواء البيان ٦٤٤/٤.

(٣) تفسير القرطبي ٨٧/١٥، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط٤، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، وانظر: أضواء البيان ٦٤٣/٤، ٦٤٤.

(٤) أضواء البيان ٦٤٤/٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأخبر تبارك وتعالى عن أهل الكهف، الذين فروا بدينهم من قومهم، إلى غار في جبل فقال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (الكهف: ١٠)، قال ابن كثير في شرحها: ((يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منهم، فلجؤوا إلى غار في جبل، ليختفوا عن قومهم))[1].

وهكذا هاجر نبينا محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، متغلباً على حظوظ النفس وشهواتها، من حب الوطن والتعلق به، وكذلك فعل أصحابه رضوان من الله عليهم حين هاجروا إلى الحبشة، ثم بعد ذلك إلى المدينة.

قال السهيلي في التعليق على هجرة المسلمين إلى الحبشة: ((وفي هذه من الفقه الخروج من الوطن، وإن كان الوطن مكة على فضلها، إذا كان الخروج فرارًا بالدين، فإن الحبشة كانوا نصارى، وسُمي الصحابة بهذه الهجرة مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين، الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ (التوبة: ١٠٠)، وجاء في التفسير: إنهم الذين صلوا القبلتين، وهاجروا الهجرتين.

فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، لما كان فعلهم ذلك احتياطًا على دينهم، وأن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر، فإذا غلب المنكر على بلد، وأوذي على الحق مؤمن، ورأى الباطل قاهرًا للحق، ورجى أن يكون في بلد آخر، أي بلد كان، يبين فيه دينه، ويظهر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٣، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المؤمن، وهذه الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة))[١].

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ((والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة))[٢].

وكذا في آخر الزمان حين تكثر الفتن، ولا تكون السلامة منها إلا بالعزلة، والفرار بالدين، قال ﷺ: [**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**][٣].

((وقد خرج جماعة من السلف عن أوطانهم وتغربوا خوفاً من الفتنة، وقد خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة في فتنة عثمان رضي الله عنه))[٤].

حب رسول الله ﷺ

لم يؤثر عنه ﷺ بعد مغادرته مكة، ورحيله عنها، إلى أن توفي أنه كان يومًا مبغضًا لها، بل كان محبًا لها، متوجعًا على فراقها، حتى بعد أن رفض أهلها دعوته، وأظهروا عداوته، واضطروه إلى الخروج منها، بل والشرك لا يزال يضرب بأطنابه في ربوعها، لم يستطع أن يقوّض من أركانه، أو يزلزل من بنيانه، يظهر ذلك بوضوح من خلال الأمارات التالية :

- حين أخبره ورقة بن نوفل أن قومه سيخرجونه من مكة قال ﷺ متعجبًا :

(١) الروض الأنف ٩٢/٢، (تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) بنحوه، وبنصه في الدرر السنية لعبد الرحمن بن قاسم ٣٤٢/١١، ط٣، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

(٢) الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب ٢٠، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ، وانظر تفصيلاً أكثر لهذا الموضوع في روضة الطالبين للنووي ٤٧٤/٧، ٤٧٥، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠م، وشرح الأربعين النووية لابن عثيمين ١٧/١٦، دار الثريا، ط١، الرياض، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

(٣) صحيح البخاري ٤٤/١٣ (٧٠٨٨)، وانظر معه كلام الحافظ ابن حجر على الحديث في هذا الجزء وفي الجزء ٣٣٩/١١، ٣٤٠.

(٤) عمدة القارى للبدر العيني ٢٦٤/١، ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

[**أو مخرجي هم ؟!**] [١] قال السهيلي في شرحها: ((يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس)). وقال : ((لما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لحب الوطن وإلفه)) . وقال : ((يؤكد ذلك أن المشار إليه حرم الله وجوار بيته، وبلدة الآباء من عهد إسماعيل عليه السلام)) [٢] .

- صح عنه ﷺ أنه حين عزم على الخروج من مكة مهاجرًا إلى المدينة وقف بالحزورة [٣]، ونظر إلى مكة، وقال متحسرًا: [**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليَّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**] [٤].
- وحين قدم المدينة عبّر عن ذلك مرة أخرى صراحة في قوله: [**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**] [٥]، فإن مما تضمنه هذا الحديث من معنى أن حبهم لمكة لا يزال يشغل حيزًا في قلوبهم، ومن لازمه حصول الشوق والحنين إليها. كما تضمن الحديث سؤاله تعالى حبًا للمدينة يماثل حبهم لمكة أو أكثر، ومن فوائد ذلك إذا ما تحقق التخفيف من لوعة الفراق والبعد عنها، والحنين والشوق إليها. مع ملاحظة أنه ﷺ لم يسأل ربه إبدال حب مكة بحب المدينة وإلغاء حب مكة، وإنما سأل حب المدينة مع حب مكة، وليس بينهما تعارض؛ فإن فضل الله عظيم، والأمر في ذلك واسع، وليس ثمت محذور يمنع من ذلك.
- سؤال ربه وهو في المدينة أن يجعل قبلته إلى مكة، بدلاً من بيت المقدس،

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣٦٨/١٢ (٦٩٨٢)، وصحيح مسلم ١٤٢/١ (١٦٠).

(٢) الروض للسهيلي ٢٧٦/١، وانظر: فتح الباري ٣٧٦/١٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٨/٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، والسيرة الحلبية ٣٩٢/١، دار المعرفة ، بيروت.

(٣) تعرف اليوم باسم (القشاشية). معجم المعالم الجغرافية للبلادي ٩٨، دار مكة، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

(٤) صحيح الجامع الصغير للألباني ١١٩٢/٢ (٧٠٨٩)، المكتبة الإسلامية، ط١، عمّان، ١٤٢١هـ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ١١٩/٤ (١٨٨٩)، وصحيح مسلم ١٠٠٣/٢ (١٣٧٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهو الذي كان يجعل الكعبة في صلاته، وهو في مكة، بينه وبين بيت المقدس، فيجمع بينهما في قبلة واحدة، ولكن مع انتقاله إلى المدينة وتغير الاتجاه تعذر الجمع بينهما؛ لوقوع بيت المقدس إلى الشمال من المدينة، ومكة إلى الجنوب منها، فازداد شوقًا وحنينًا إليها، وأخذ يقلِّب وجهه في السماء ينتظر الإذن بالتوجه في قبلته إلى مكة، قبلة أبيه إبراهيم، ومسقط رأسه، وبلد الآباء والأجداد. قال تعالى حكاية عن ذلك: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ ﴾ [(١)].

- إن من إشفاق الله على نبيه، ورحمته به، ووقوفه إلى جانبه على كل حال، وفي الكرب والشدائد على وجه الخصوص، ومنها خروجه هذا من مكة، وهجرته إلى المدينة، امتثالاً لأمره عز وجل ما قطعه تبارك وتعالى على نفسه من وعد لنبيه ﷺ أن يعيده إلى مكة كما أخرجه منها، مما كان له أعظم الأثر في تخفيف لوعة البعد والفراق، وكسر حدة الشوق والحنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ (القصص: ٨٥)، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس: أن قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ قال: ((إلى مكة)) [(٢)]. وروى ابن كثير في تفسيره عن الضحاك قال: ((لما خرج النبي ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ إلى مكة)) [(٣)]. وقد تحقق موعود الله له في رمضان من العام الثامن الهجري حين دخل مكة

(١) البقرة (١٤٤)، وانظر تفسيرها عند ابن كثير ١٩٢/١، ١٩٣.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣٦٩/٨ (٤٧٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير ٤٠٣/٣، وفيه أقوال أخرى في تفسير المعاد، وانظر تفسير الطبري ١٤٤/٢٠ -١٤٦، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فاتحاً[1]، وأقر الله عينه بدخول أهلها في الإسلام.

حب أصحاب النبي ﷺ مكة

لعل من أبرز ما يعبر عن حب أصحاب النبي ﷺ مكة تلك المشقة التي لحقت بهم لما أمروا بفراقها والهجرة عنها، ويدل على هذه المشقة أمور منها:

١ -كثرة الآيات الواردة بشأن الهجرة: المحفزة عليها حيناً، والمتوعدة عليها حيناً آخر.

فمن آيات النوع الأول التي جاءت بالحث على الهجرة، والترغيب فيها، والوعد بالأجر العظيم عليها، قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَلَأَجۡرُ ٱلۡأَخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (النحل: ٤١). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٨)، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ (الزمر: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ (النحل: ١١٠)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (العنكبوت: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ

(١) صحيح البخاري ٥٩٥/٧ (٤٢٧٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النساء: ١٠٠).

ويدخل تحت هذا النوع من الآيات أيضاً الآيات التي جاءت بضرب الأمثال، ببعض الأنبياء السابقين، الذين اضطروا إلى هجر أوطانهم، مثل إبراهيم عليه السلام، قال تعالى على لسانه: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الصافات: ٩٩)، فعوضه الله عن ذلك بالذرية الصالحة كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾[1]، فهاجر عليه السلام من حرّان بلد الكفر إلى الأرض المقدسة، ولم يعد إلى وطنه[2]. وكذلك إسماعيل عليه السلام هاجر من الأرض المقدسة، إلى أرض هي أقدس منها، وهي مكة، ثم لم يعد إلى وطنه الأول[3]. وكذلك موسى هاجر ببني إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة فمات في الطريق[4]. وكذلك لوطًا هاجر مع إبراهيم وقال عنه تبارك وتعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢٦).

---

(١) مريم [٤٩]. وانظر: أضواء البيان ٦٤٤/٤.

(٢) تفسير الطبري ٥٦/١٧، ٥٧، وتفسير القرطبي ٣٠١/١٣، ٨٧/١٥، وتفسير ابن كثير ١٨٤/٣، ١٨٥.

(٣) البداية والنهاية ١٥٤/١ -١٦٠، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي ٥٦٣/٦، تحقيق أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

(٤) البداية والنهاية ٢٦٨/١ -٣١٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن آيات النوع الثاني التي جاءت باللوم والعتاب والوعيد على التخلف عن الهجرة، والتكاسل في القيام بها، قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (النساء: ٩٧ -٩٩)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأنفال: ٧٢).

فكان من نتائج ذلك أن الذين تأخروا عن الهجرة، من أصحاب النبي ﷺ، من غير عذر لما بلغتهم تلك الآيات ندموا على تفريطهم، وبادروا إليها، روى أهل التفسير أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ الآية، بعث النبي ﷺ بها إلى مسلمي مكة، فقال جندب بن ضمرة لبنيه: ((احملوني فإني لست من المستضعفين، ولا أني لا أهتدي الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة))، فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة، وكان شيخًا كبيرًا فمات في الطريق، فسخر به قومه، واستهزءوا به وقالوا: لا هو بلغ الذي يريد، ولا هو أقام في أهله يقومون عليه ويدفن. فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [1].

والهجرة في مصطلح القرآن تدل على مفارقة الوطن[2]. وعند العرب من هجران الوطن والأهل والولد[3] . وقال الشوكاني: ((أصل الهجرة هجر الوطن)) [4].

٢ -ويعبر عن هذه المشقة أيضاً: دعاء النبي ﷺ لأصحابه أن يتم الله لهم هجرتهم ، ولا يردهم على أعقابهم ؛ إدراكاً منه ﷺ لما يكابدونه في القيام بها ، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفيه قول النبي ﷺ : [**اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم**] [5]. قال ابن عبد البر في شرحه: ((معناه الدعاء لهم في أن يتم لهم هجرتهم ، سالمة من آفات الرجوع إلى الوطن، المتقرب بهجرته إلى الله عز وجل)) [6].

٣ -كما يعبر عنها بوضوح أيضاً المعاناة التي لحقت بأصحاب النبي ﷺ من المهاجرين، على إثر انتقالهم إلى المدينة، ومن صورها قول بلال رضي الله عنه، بعد أن أصيب بحمى يثرب ((اللهم العن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء))، وكان رضي الله عنه إذا أقلعت عنه الحمى يقول شعرًا، يتغنى فيه بمكة شوقًا إليها، ويقول :

---

(١) تفسير الطبري ٢٨١/٥، وتفسير الرازي ١١/١١، وتفسير ابن كثير ٥٤٣/١، ٥٤٤، وزاد المسير لابن الجوزي ١٨٠/٢، ١٨١، المكتب الإسلامي ، ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

وانظر في ترجمة جندب بن ضمرة: الإصابة ٢٦٣/١ (١٢٣٠)، دار الكتب العلمية، بيروت. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أسماء أخرى غيره نسب هذا الخبر إليهم.

والآيات الواردة في الخبر سبق الإحالة إليها من سورة النساء [٩٧ -١٠٠].

(٢) التنوير والتحرير لابن عاشور٢٣٣/٤، مؤسسة التاريخ، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٢٣٩/١.

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ١٧٧/٨، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

(٥) صحيح مسلم ١٢٥١/٣ (١٦٢٨)، وانظر: المسند ١٠٩/٣ (١٥٢٤)، ١٢٣(١٥٤٦) وصحح المحقق إسناديهما.

(٦) الاستذكار لابن عبد البر ٢٧٥/٧ ، باب الوصية في الثلث لا تتعدى.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذْخِرٌ وجليل

وهل أَرِدْن يوماً مياه مجنَّةٍ وهل يَبْدُوَنَّ لي شامةٌ وطفيل

وكان أبو بكر ﷺ إذا أخذته الحمى يقول:

كل أمرئ مصبّحٌ في أهله والموت أدنى من شراك نعله [1]

وكان عامر بن فهيرة يقول:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه والمرء يأتي حتفه من فوقه

كل أمرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي أنفه بروقه[2]

ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ((أصابت الحمى الصحابة حتى جهدوا مرضاً -يعني في أول الهجرة -وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ، حتى ما كانوا يصلون إلا وهم قعود ...)) [3].

قال ابن عبد البر في التعليق على خبر إصابة المهاجرين بحمى يثرب: وفيه بيان ما عليه أكثر الناس من حنينهم إلى أوطانهم وتلهفهم على فراق

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١١٩/٤ (١٨٨٩)، ٣٠٨/٧ (٣٩٢٦)، والإ ذخر والجليل نبات في مكة. وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة. وقيل: عينان. انظر: الفتح ٣٠٩/٧.

(٢) السيرة لابن هشام ٥٨٩/١، والتمهيد ١٩٢/٢٢، والفائق للزمخشري ٢٨٣/٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار المعرفة، ط٢، بيروت، وفتح الباري ٣٠٩/٧. وانظر: مجمع الأمثال للميداني ٣٩/١.

(٣) السيرة لابن هشام ٥٩٠/١، والبداية والنهاية ٢٢٤/٣، والسيرة الحلبية ٢٨١/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ ٢٨٧/٤، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بلدانهم التي كان مولدهم بها ومنشؤهم فيها [١].

ويروى أن أبا أحمد بن جحش وهو من أوائل المهاجرين إلى المدينة كان يوم الفتح يمشي بين يدي رسول الله ﷺ ويقول:

حبذا مكة من وادي ... بها أهلي وعوادي

بها أمشي بلا هادي ... بها ترسخ أوتادي [٢]

ويتعلق بهذه المسألة في الإسلام أصل عظيم من أصول الدين وهو (الإقامة بين المشركين)؛ فإن المسلم إذ كان مقيماً بين المشركين، ويترتب على إقامته تلك تكثير سوادهم، أو مشاركتهم فيما لا يسوغ المشاركة فيه شرعاً، أو إعانتهم على المسلمين، أو يخشى الفتنة في دينه، مع عدم القدرة على إظهار شعائر دينه بينهم، فضلاً عن التأثير فيهم، فإنه يشرع له في تلك الحالة أن يهاجر من وطنه –إذا كان قادراً عليه –إلى بلاد أخرى يأمن فيها على دينه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (النساء: ٩٧) ، قال ابن كثير: ((هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من

(١) الاستذكار ٢٣٩/٨.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١٥٤/٢، تحقيق رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة، ط٦، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤، وأخبار مكة للفاكهي ٣٠٣/١، ٢٣٨/٢، ٢٩٣/٣، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر ومطبعة النهضة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، وأنساب الأشراف للبلاذري ٢٢٧/١، ١٩١/١١، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، والمطالب العالية لابن حجر ٣٦٦/١، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت، والإصابة ٦/١١ (١٠)، على اختلاف بينهم وتردد في نسبة هذا الشعر إلى أبي أحمد بن جحش أو ابن أم مكتوم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حرامًا بالإجماع))[١].

وفي الحديث: [**أنا بريء من كل مسلم مقيم مع المشركين**] ، قال ابن عبد البر عند هذا الحديث: ((هجرة دار الكفر واجبة، على كل من آمن أن يهجر دار الكفر لئلا تجري عليه فيها أحكام الشيطان، وحرم عليه المقام حيث لا يجري عليه حكم الإسلام، لكن لا يحرم عليه في هجرته هذه الرجوع إلى الوطن الذي خرج منه إذا عادت تلك الدار دار إيمان وإسلام))[٢].

وفي الحديث أيضًا: [**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**][٣]. قال الشوكاني في شرحه: ((فيه دليل على تحريم مساكنة الكفار ووجوب مفارقتهم ... ويشهد لصحته قوله تعالى ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ (النساء: ١٤٠) ، وحديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده مرفوعًا: [**لا يقبل الله من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين**]))[٤].

وفي الحديث أيضًا: [**لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا**][٥]. وفيه: [**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، لا تتراءى نارهما**][٦]. قال الشوكاني: ((يعني لا ينبغي أن يكونا بموضع بحيث تكون نار كل واحد منهما في مقابلة الأخرى على وجه لو كانت متمكنة

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٤٢/١.

(٢) الاستذكار ٢٧٦/٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٧٨٧) ، والحاكم في المستدرك (١٤١/٢) وحسنه الألباني .

(٤) أخرجه النسائي في سننه (٣٥٨/١) بلفظ (لايقبل الله عزوجل من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين) وصححه الحاكم (٩٠٠/٤) ووافقه الذهبي .

(٥) السلسة الصحيحة ٤٣٥/٥.

(٦) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٤٥/٣) رقم (٢٦٤٥) ، والبيهقي (١٣١/٨) ، والترمذي (١٦٠٤) ١٥٥/٤ وقد أكمله تبعاً للبخاري بالإرسال .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من الأبصار لأبصرت الأخرى، فإثبات الرؤية للنار مجاز))[١].

وقال ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي عندما بايعه: [**أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشرك**][٢].

وقال لأعرابي بايعه: [**إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من الغنائم الخمس، وسهم النبي ﷺ والصفي – وربما قال: وصفيه – فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله**][٣].

وقال الإمام مالك:((لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سُبَّ فيها السلف))[٤].

[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والنفس تحن إلى الوطن، إذا لم تعتقد أن المقام به محرم، أو به مضرة وضياع دنيا))[٥].

وقال الحافظ ابن حجر في التعليق على قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتل مئة نفس، ثم سأل عالمًا: هل له من توبة؟ فقال له: ومن يحول بينك وبين التوبة، ثم أرشده أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يعبد الله فيه، وألا يرجع إلى بلده لأنها أرض سوء، قال الحافظ: ((فيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية ... وأن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والاشتغال بغيرها))[٦].

---

(١) نيل الأوطار ١٧٧/٨.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٩٢٥٨) ٣٦٥/٤ ، والبيهقي ١٣/٩، والحاكم ٥٧٧/٣ وصححه الألباني .

(٣) إرواء الغليل ٣٢/٥.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٦١١/١، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وتفسير القرطبي ٣٣٢/٥.

(٥) فتاوى ابن تيمية ٤٦٣/٢٧، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد، ط٢، ١٣٩٨م.

(٦) فتح الباري ٥٩٨/٦، وانظر الحديث رقم (٣٤٧٠) ص ٥٩١ من المجلد المذكور، وانظر: تفسير ابن كثير ٥٤٣/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقال السعدي في تفسيره: ((المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه في غاية النقص ... وهو بصدد أن يفتن عن دينه، خصوصًا إن كان مستضعفًا، فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله، وجهاد أعداء الله، ومراغمتهم... وحصل له سعة في رزقه... واعتبر ذلك بالصحابة ﷺ، فإنهم لما هاجروا في سبيل الله، وتركوا ديارهم، وأولادهم، وأموالهم لله كمل بذلك إيمانهم، وحصل لهم من الجهاد العظيم، والنصر لدين الله ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم من الفتوحات، والغنائم ما كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل من فعل فعلهم، يحصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة))[1].

وقال صاحب[2] تفسير روح البيان: ((واعلم أن الميل إلى الأوطان وإن كان لا ينقطع عن الجَنَان لكن يلزم للمرء أن يختار من البقاع أحسنها ديناً، حتى يتعاون بالإخوان))[3].

وقال: ((إذا كان الوطن دار شرك، وكذا إذا كان أرض المعاصي والبدع، وهو لا يقدر على تغييرها والمنع منها، فينبغي أن يهاجر منها إلى أرض المطيعين، من أرض الله الواسعة، ويستسهل الهجرة عن وطنه ذلك، ويحتمل الغربة في سبيل ذلك))[4].

((وأفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع لله ورسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل، وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب

(١) تفسير السعدي ٣٩٣/١، ٣٩٤ بتصرف طفيف.

(٢) هو اسماعيل حقي بن الشيخ مصطفى الاستنابولي ، ولد سنة ١٠٦٣هـ وتوفي سنة ١١٣٧هـ . وله ترجمة في كشف الظنون للبغدادي ٢١٩/٥، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٢٦٦/٢، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث، بيروت .

(٣) تفسير روح البيان ٥٦٤/٦.

(٤) السابق، ٦١٩/٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التقوى، والطاعة، والخشوع، والخضوع، والحضور، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: "هلم إلى الأرض المقدسة ! فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدًا، وإنما يقدس العبد عمله"))[(١)].

ولهذا كان مقام النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين بالمدينة أفضل من مقامهم بمكة، مع أن مكة كانت في نفسها خير أرض الله، وأحب أرض الله إليه، لكن لما كانت دار كفر بسبب سكانها كانت المدينة أفضل منها، ولهذا فإن قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ (النحل: ١١٢) ، نزلت في مكة لما كانت دار كفر [(٢)].

وهكذا ((فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسق في ذلك الوقت، فإن سكنها غير ما ذكرنا وتَبَدَّلَت بغيرهم فهي دارهم))[(٣)].

مواساة الله للمسلمين على

قص الله تعالى على المسلمين أخبار بعض الماضين ممن تعرضوا للتهديد بالطرد من أوطانهم، وعلى رأس هؤلاء أنبياء الله، وفي هذا تسلية ومواساة وتعزية وتصبير على تحمل هذا المصاب الذي لحق بهم، فأخبر تعالى عن عامة رسله عليهم السلام أنهم تعرضوا لذلك، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ﴾ (إبراهيم: ١٣)، ثم أخبر

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٨٣/١٨.

(٢) السابق ٢٨٢/١٨، ٢٨٣، والآية رقمها [١١٢] من سورة النحل.

(٣) السابق ٢٨٢/١٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عن بعض هؤلاء الرسل خاصة وسماهم بأسمائهم، منهم:

نبي الله شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ (الأعراف: ٨٨) فقال شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾، أي كارهين للخروج من الوطن، وكارهين للكفر على حد سواء.

ومنهم نبي الله لوط عليه السلام، قال تعالى على لسان قومه: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (الشعراء: ١٦٧) وقال: ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (النمل: ٥٦) وقال: ﴿ قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٨٢). قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ((ومن أعظم خبائثهم (أي قوم لوط) تكذيب نبي الله لوط ، وتهديدهم له بالإخراج من الوطن)) [(١)].

كما أخبر تعالى أن الإخراج من الوطن من الوسائل التي اتبعها عدو الله فرعون في تنفير بني إسرائيل عن موسى عليه السلام، حيث ادعى زورًا وبهتانًا أن موسى إنما جاء ليخرج بني إسرائيل من أرضهم، فخاطب فيهم الأحاسيس والمشاعر المتعلقة بالوطن، لما يعلم من شدة أثر ذلك على نفوسهم، ليكونوا أكثر تحصينًا وممانعة في الاستجابة إليه، وأكثر مدافعة له، قال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ... ﴾ (الشعراء: ٣٤ - ٣٥) وقال: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ (طه: ٥٧) ، وقال: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾

(١) أضواء البيان ٤/٦٤٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠٩ -١١٠) وقال: ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ... ﴾ (طه: ٦٣) وقال: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٣).

قال الألوسي في التعليق على موقف فرعون هذا: ((إنما قال ذلك ليبرز أن مراد موسى ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم، بل إخراج القبط من وطنهم، وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية، حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد، ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة))[(١)].

ومن التعزية أيضاً ما وعدهم به تبارك وتعالى من تكفير السيئات، ودخول الجنات، والثواب العظيم يوم القيامة بسبب هذا الخروج الذي تعرضوا له واضطروا إليه، فقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

هذا في الآخرة، أما في الدنيا فقد جعل تعالى ذلك سبباً في استحقاقهم نصيباً مفروضاً من الفيء، فقال عز وجل: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾[(٢)].

بعض الأحكام المترتبة على إخراج المسلمين من وطنهم (مكة)

رتّبَ تعالى على هذا الخروج الذي تعرض له المسلمون واضطروا معه إلى الجلاء عن وطنهم (مكة) بعض الأحكام الشرعية، منها:

(١) تفسير الألوسي ٢٢٦/١٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) الحشر [٨]، وانظر: تفسير ابن كثير ٣٣٧/٤.

١ -جعل تعالى المشاركة في إخراج المسلمين من ديارهم، أو الإعانة عليه، من الأسباب الموجبة لقطع الموالاة بينهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الممتحنة: ٩).

في حين أنه جعل عدم المشاركة في إخراج المسلمين من ديارهم، من الأسباب المبيحة للبر بهم، والإحسان إليهم، فقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الممتحنة: ٨).

٢ -جعل تعالى خروج المسلمين من وطنهم (مكة) قسراً على أيدي أعدائهم من الأسباب الموجبة لقتالهم إياهم فقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (البقرة: ٢١٧). وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ ﴾ (البقرة: ٢٤٦)، وقال: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾ (الحج: ٣٩ – ٤٠). وقال: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (التوبة: ١٣).

الفترة المدنية

تأمين الجبهة الداخلية للوطن الجديد

لما قدم ﷺ المدينة كان من أول التدابير التي اتخذها من أجل صيانة هذا الوطن، وحفظ أمنه، أن عقد

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

معاهدة [١] مع غير المسلمين من أهلها، وهم اليهود، وقد نصت بعض فقرات هذه المعاهدة على وجوب اشتراك اليهود في الدفاع عن المدينة، إلى جانب المسلمين، إذا تعرضت لعدوان خارجي [٢].

ومع أن الكلمة العليا في المدينة ليست لليهود، وإنما لأصحاب النبي ﷺ من الأوس والخزرج، إلاّ أن ذلك من شأنه تأمين الجبهة الداخلية للمدينة، لسد الطريق أمام أي خطر قد يتسرب إليها من الداخل، ووضع كل الأطراف في مواجهة مسؤولياتهم المباشرة تجاه هذا الوطن المشترك، وليعرف كل طرف ما له فيه من حقوق، وما عليه من واجبات، وأن أي إخلال بشيء من بنود هذه المعاهدة يعتبر خيانة تستوجب العقاب الصارم والجزاء الرادع، كما أن من شأنه أن يبعث على الطمأنينة والارتياح لدى الجميع، فيأمن كل طرف الآخر، مما يساعد على التعايش السلمي بين الطرفين، وفي هذا اعتراف ضمني من المسلمين بحق الأقلية اليهودية في المدينة في المواطنة، بموجب نصوص هذه المعاهدة [٣]، لكن تحت إمرة المسلمين [٤]، مع أن للمسلمين دينهم ولليهود دينهم [٥].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٥٠١/١، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي لمحمد حميد الله ٥٧، دار النفائس، ط٥، بيروت، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ لظافر القاسمي ٣١، دار النفائس، ط٥، بيروت، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري ٢٨٢/١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله ٣٠٦، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

(٢) منها: (وأن بينهم النصر على من دهم يثرب) و(وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة) و(وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين).

(٣) انظر: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ٣٧، ٤١، ٤٢، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ٣١٦، ٣١٧.

(٤) جاء فيها: (وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد)، وجاء أيضًا: (وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ').

(٥) جاء فيها: (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذا إنما كان في أول الإسلام، قبل أن يأمر النبي بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب[١]، فلما أمر به اختصت جزيرة العرب بذلك، إلا ما دعت الحاجة إليه، وبقيت على أصلها في باقي بلدان المسلمين، حقًا مكتسبًا لأهلها، ولو كانوا من غير المسلمين[٢]، ويبقون فيها أهل وطن، تقر أراضيهم بأيديهم[٣]، تحت ولاية المسلمين العامة، وإشرافهم المباشر.

حب رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة

وحين استقر به المقام ﷺ في المدينة أخذ يدعو ربه: [**اللهم حبب إلينا المدينة...**] [٤] فقذف الله حبها في قلوبهم، فكانت أحب إليه من مكة، كما جزم بذلك الزرقاني، ونقل الجزم به عن بعضهم [٥]، ولفرط حبه ﷺ لها كان إذا قدمها من سفر حرّك دابته مسرعًا شوقًا إليها.

خرّج البخاري في صحيحه، من حديث أنس رضي الله عنه قال: [**كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته، وإن كانت دابة حرّكها**] . وفي رواية: [**حركها من حبها**]. وساق طريقًا أخرى للحديث وفيها: ((جدرات)) بدل ((درجات)). وذكر الحافظ أن معنى أوضع: أي أسرع السير. ونقل ترجيح بعضهم للفظ ((جدرات)). وقال: وفي الحديث دلالة على

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٣١٢/٦ (٣١٦٧، ٣١٦٨)، وصحيح مسلم ١٣٨٨/٣ (١٧٦٧)، وسنن أبي داود ٤٢٣/٣، ٤٢٤ (٣٠٢٩، ٣٠٣٠)، تعليق عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص، وسنن الترمذي ١٥٦/٤ (١٦٠٦، ١٦٠٧)، تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي، ط١، مصر ١٣٨٢هـ -١٩٦٢م، وصحيح الجامع للألباني ١٠٦/١ (٢٣٢).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٩٣/١١، ٩٤، وفتح الباري ١٩٨/٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦٥٥/٢٨.

(٤) تقدم تخريجه في ص ٣٤.

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ ٢٨٦/٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن ، والحنين إليه [١].

وخرّج مسلم في صحيحه، من حديث أنس ﷺ في خبر رجوعهم من خيبر سنة سبع قال: [**فانطلقنا حتى إذا رأينا جُدُر المدينة هششنا إليها، فرفعنا مَطِيَّنَا، ورفع رسول الله ﷺ مَطِيَّتَه**] [٢]. ومعنى هششنا: أي نشطنا، وخففنا، وانبعثت نفوسنا إليها [٣]. ومعنى فرفعنا مطينا: أي أسرعنا بها [٤].

وكان ﷺ إذا غادرها في سفر أسرع في العودة إليها، ولهذا ترجم الإمام البخاري لأحد أبواب كتاب الجهاد بقوله: (باب السرعة في السير)، وعلّق عليه الحافظ بقوله: أي في الرجوع إلى الوطن[٥]. وذكر تحته حديث أبي حميد الساعدي، في رجوعهم من تبوك، وفيه قول النبي ﷺ: [**إني متعجل إلى المدينة، فمن أراد منكم أن يتعجل معي فليتعجل، فلما أشرف على المدينة قال: هذه طابة. فلما رأى أُحدًا قال: هذا جبل يحبنا ونحبه...**] [٦]. قال الحافظ في شرحه: أي أي إني سالك الطريق القريبة، فمن أراد فليأت معي، يعني ممن له اقتدار على ذلك، دون بقية الجيش [٧]. ثم ذكر طريقًا أخرى للحديث ورد فيها التصريح باسم الطريق الذي سلكه، وغرضه منه، وهي من طريق سليمان بن بلال، وأوله: [**أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا دنا من المدينة أخذ طريق**

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣/٧٢٦، ٧٢٧ (١٨٠٢).

(٢) صحيح مسلم ٢/١٠٤٧، ١٠٤٨ (١٣٦٥).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/٢٢٦.

(٤) النهاية لابن الأثير ٢/٢٤٤ (رَفَعَ)، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٦/١٦١.

(٦) السابق ٣/٤٠٢ (١٤٨١)، ٦/١٦١.

(٧) فتح الباري ٣/٤٠٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

غراب[١]؛ **لأنها أقرب إلى المدينة وترك الأخرى**] [٢]. ثم ساق الحديث بطوله.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ لفرط حبه المدينة يدعو الله أن يجعل موته فيها، روى البخاري عن عمر ﷺ، أنه كان يقول: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ) [٣].

وقد ظل ﷺ وفيًا لهذه المدينة، حفيًا بها، وبأهلها، حتى بعد أن فتحت مكة، ودخل أهلها في الإسلام، لم ينتقل للإقامة بها، وبقي في المدينة، وما زال لسانه يلهج بذكر فضائلها، والثناء على أهلها، إلى أن توفي ﷺ .

ففي حنين التي أعقبت فتح مكة مباشرة ظن أصحابه ﷺ من الأنصار أنه ربما سيترك المدينة قريباً، وينتقل للإقامة بين أهله وقومه في مكة، بعد أن رأوا حفاوته بقومه على إثر دخولهم في الإسلام، وإغداقه أموال حنين عليهم [٤]، فجمعهم ﷺ وخاطبهم معددًا فضائلهم، ذاكراً مآثرهم، معترفًا لهم بالسبق، والجميل، والمعروف، والإحسان، قائلاً: [**أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم وصدِّقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريدًا فآويناك ، وعائلاً فأغنيناك**] إلى أن قال: [**أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمَّد بيده لولا الهجرة لكنت إمرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلك الأنصار شعبًا لسلكت شعب**

---

(١) غراب: جبل أسود يقع غرب المدينة، ويبعد عنها حوالي سبعة أكيال، يمر به طريق الشام الرئيسي، ويعرف اليوم بجبل (حَبَشي). انظر: معجم المعالم الجغرافية للبلادي ٢٢٣. والطريق المار بهذا الجبل الذي سلكه النبي ﷺ سيكون حتما قبله بمسافة قد تطول وقد تقصر، والله أعلم.

(٢) فتح الباري ١٦١/٦.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١١٩/٤ (١٨٩٠).

(٤) انظر: فتح الباري ٦٤٦/٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار][1].

وكان من آخر ما أوصى به المسلمين في مرض موته ﷺ قوله: [**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**][2].

وعدم انتقال النبي ﷺ أو أحد من أصحابه إلى مكة للإقامة بها بعد فتحها يعود إلى أن انتقالهم من مكة إلى المدينة إنما كان استجابة لأمر شرعيّ[3] ، فكذلك العودة إليها لا تكون إلا بأمر شرعي مثله، وإلاَّ عُدَّ ذلك مخالفة صريحة للأمر الأول.

ترجم البخاري -رحمه الله -لأحد أبواب كتاب (مناقب الأنصار) بقوله: (باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه) وساق تحته حديثًا من طريق العلاء بن الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: [**ثلاث للمهاجر بعد الصّدَرَ**][4]، وعرّف الحافظ: الصَّدَر بأنه الرجوع من منى، وقال في شرح الحديث: الإقامة بمكة كانت حرامًا على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيح لمن قصدها بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها. ونقل الحافظ كلام النووي وفيه: ((إن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة)). ثم نقل الحافظ عن عياض أنه قول الجمهور. ثم قال عياض: ((وأجازه لهم جماعة يعني بعد الفتح)). وقال عياض أيضًا: ((واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، وأن سكنى المدينة كان واجباً

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦٤٤/٧ (٤٣٣٠)، وصحيح مسلم ٧٣٣/٢ -٧٣٩ (١٠٥٩ -١٠٦٢)، ومسند أحمد ٢٥٣/١٨ -٢٥٥ (١١٧٣٠) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٥١/٧ (٣٧٩٩) ومعنى كَرِشي وعيبتي قال الحافظ: بطانتي وخاصتي.

(٣) فتح الباري ٢٦٩/٧ ، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري ٢٠١/١.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٣١٣/٧ (٣٩٣٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس، وأما غير المهاجرين فيجوز لهم سكنى أي بلد أرادوا، سواء مكة أو غيرها بالاتفاق)). ثم قال الحافظ ابن حجر: ((ويستثنى من ذلك من أذن له النبي ﷺ بالإقامة في غير المدينة)) [١].

وقال الحافظ ابن عبد البر: ((ولم تكن الهجرة (مقتصرة) في ترك الوطن وتحريم الرجوع إليه على الأبد إلا على أهل مكة خاصة، الذين آمنوا به من أهلها واتبعوه؛ ليتم لهم بالهجرة الغاية من الفضل الذي سبق لهم، فعليهم خاصة افترضت الهجرة المفترض فيها البقاء مع النبي ﷺ حيث استقر والتحول معه حيث تحول؛ لنصرته، ومؤازرته، وصحبته، والحفظ لما يشرعه، والتبليغ عنه، ولم يرخص لواحد منهم في الرجوع إلى الوطن وترك رسول الله ﷺ)) [٢].

وقال: ((الهجرة كانت عليهم باقية إلى الممات، وهم الذين أطلق عليهم المهاجرون، ومدحوا بذلك دون غيرهم)) [٣].

قلت: ولهذا لم يؤثر عن أحد من أصحاب النبي ﷺ الانتقال إلى مكة للإقامة بها، بل كانوا يستعيذون بالله تعالى أن يعودوا كالأعراب بعد هجرتهم؛ لأن الأعراب لم يتعبدوا بالهجرة التي كان يحرم بها على المهاجر الرجوع إلى وطنه[٤]، بل قد بلغ بهم الأمر إلى الحد الذي كانوا يكرهون معه الموت في البلاد التي أمروا بالخروج منها، حتى عدّوا من مات بها بعد الهجرة عنها (بائساً).

روى البخاري في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

---

(١) فتح الباري ٣١٣/٧، ٣١٤.

(٢) الاستذكار لابن عبد البر ٢٧٦/٧.

(٣) السابق.

(٤) السابق ٢٧٥/٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

[**جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة –وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها –قال: يرحم الله ابن عفراء ...**] (١).

ولمسلم بلفظ: [**فقال: يا رسول الله، خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة**] (٢). وللنسائي من طريق جرير بن يزيد، عن عامر بن سعد: [**لكن البائس سعد بن خولة مات بالأرض التي هاجر منها**] (٣). وله من طريق بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد: [**فقال سعد: يارسول الله، أموت بالأرض التي هاجرت منها؟ قال: لا إن شاء الله تعالى**] (٤).

قال الحافظ ابن حجر: ((رثى النبي ﷺ لسعد بن خولة أن مات بمكة، والمرثية تعديد محاسن الميت، والمراد هنا التوجّع له لكونه مات في البلد التي هاجر منها)) (٥). وقال ابن عبد البر: ((قال (سعد) ذلك تحزنًا وإشفاقًا من بقائه في موضع قد هجره لله ولرسوله)) (٦).

وسعد بن خولة ﷺ مات بمكة، بعد هجرته منها، في حجة الوداع، على الصحيح، كما جزم بذلك الحافظ ابن حجر (٧)، وهذا يعني أن موته كان بعد فتح مكة التي أغلق فيها باب الهجرة بعامين، مما يدل على أن أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين كانوا يكرهون العودة إلى مكة والإقامة بها، ويحرصون على ملازمة النبي ﷺ والبقاء إلى جانبه في المدينة، حتى

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٤٢٧/٥ (٢٧٤٢).

(٢) صحيح مسلم ١٢٥٣/٣ (١٦٢٨).

(٣) انظر: فتح الباري ٤٢٩/٥، ولم أقف عليه عند النسائي.

(٤) السنن الكبرى للنسائي ١٠٣/٤ (٦٤٥٧/٥)، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٥) فتح الباري ٣١٣/٧، ٣١٦.

(٦) الاستذكار لابن عبد البر ٢٧٥/٧.

(٧) فتح الباري ٤٢٩/٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذا التاريخ، ورغم الفسحة التي حصلت لهم بعد الفتح.

وروى ابن سعد من طريق الواقدي قال: لا نعلم أحداً من المهاجرين من أهل بدر رجع إلى مكة، يعني بعد وفاة النبي ﷺ، فنزلها غير أبي سبرة، فإنه رجع إلى مكة بعد وفاة النبي ﷺ فنزلها، فكره ذلك له المسلمون، وولده ينكرون ذلك ويدفعونه، أن يكون رجع إلى مكة فنزلها بعد أن هاجر منها، ويغضبون من ذكر ذلك[١].

ولا يشكل على هذا خروج كثير من الصحابة، ومن بعدهم من الفضلاء من المدينة، بعد وفاة النبي ﷺ وسكناهم بلادًا غيرها؛ فإن ذلك إنما كان خاصًا بزمنه ﷺ[٢]، ومن جهة أخرى فإنهم إنما خرجوا لمقاصد صحيحة: كنشر العلم، وفتح بلاد الشرك، والمرابطة في الثغور، وجهاد الأعداء، وهم مع ذلك على اعتقاد فضل المدينة، وفضل سكناها[٣].

أما سائر الناس من غير أهل مكة فقد كانت الهجرة إلى المدينة في حقهم مستحبة، ثم أغلق باب الاستحباب بعد الخندق حين قال النبي ﷺ: [**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**][٤]، وبعد أن ضاقت المدينة بأهلها، فجعل رسول الله ﷺ هجرتهم في رحالهم[٥]، ثم أغلق باب الهجرة عمومًا بعد بعد فتح مكة حين قال النبي ﷺ: [**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**][٦]،

(١) الطبقات لابن سعد ٤٤٣/٥، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) فتح الباري ٣١٨/١٣.

(٣) السابق ٢١٣/١٣.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٤٦٧/٧ (٤١٠٩، ٤١١٠).

(٥) طبقات ابن سعد ٢٩١/١، والثقات لابن حبان ٢٦١/١، دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، والبداية والنهاية ٤١/٥، والمنتظم لابن الجوزي ٢١٨/٣، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

(٦) صحيح البخاري مع الفتح ٦/٦ (٢٧٨٣)، وصحيح مسلم ٩٨٦/٢ (١٣٥٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به، أو نزل به عدو[١].

بناء الوطن الجديد

وحين استقر به المقام ﷺ في المدينة هو وأصحابه رضوان الله عليهم، وصارت المدينة لهم عاصمة، وحصناً، وحرزاً، وملاذاً، ومأوى، أخذوا في عمارتها، عمارة مادية وعمارة معنوية.

أما العمارة المعنوية فبالإسلام، والإيمان، والذكر، وتلاوة القرآن، والصدقة، والصيام، والصلاة، فساد الأمن والاطمئنان والعدل في ربوعها، وذلك مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ (الأنعام: ٨٢). وهذا معنى عظيم يغفل عنه كثير من الناس حين يتعلقون بالأسباب المادية فقط ويغفلون عن الأسباب المعنوية.

قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله- في تفسير الآية: ((الأمن من: المخاوف، والعذاب، والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم. فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كما لها.

ومفهوم الآية الكريمة أن الذين لم يحصل لهم الأمران لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الظلال والشقاء))[٢].

---

(١) السيرة الصحيحة لأكرم العمري ٢٣٨/١، وانظر تفصيلا أكثر لهذا الموضوع في: فتح الباري ٥٧/٤، ٤٦/٦، ٢٢٠، ٢٧٠/٧، ٢٧١، ونيل الأوطار للشوكاني ١٧٧/٨ -١٧٩.

(٢) تفسير ابن سعدي ٣٩/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكما قال تعالى أيضاً: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه: ١٢٣ -١٢٤).

قال ابن كثير -رحمه الله- في شرحها: ((ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق، حرج؛ لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث يشاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبه يتردد، فهذا من ضنك المعيشة))[1].

وكما قال تعالى أيضاً: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور: ٥٥).

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((فالصحابة ﷺ لما كانوا أقوم الناس بعد النبي، بأوامر الله ﷻ، وأطوعهم لله، كان نصرهم بحسبهم، أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وحكموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصّر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم))[2].

كما عمروها أيضاً بالدعاء لها اقتداءً بفعل إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين دعا لمكة، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَإِذۡ

(١) تفسير ابن كثير ١٦٨/٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٠٢/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ (البقرة: ١٢٦).

فكان ﷺ يدعو للمدينة، ومن دعائه قوله: [**اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين** ...] . وفي الباب أحاديث أخرى كثيرة [(١)].

أما العمارة المادية فبالحرث، والزرع، والرعي، والصناعة، التجارة، والتعليم ، وبناء المساجد والمساكن ، والبيع والشراء ،إلى غير ذلك من الأنشطة المادية المحسوسة ، وذلك استجابة لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾ (هود: ٦١). قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله- في شرحها: ((أي خلقكم منها ، واستخلفكم فيها ، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة ، ومكنكم في الأرض: تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها ، وتستغلون مصالحها ...)) [(٢)].

ومن عمارتها أيضاً الدفاع عنها ، وحراستها من الأعداء، فإن مما عاهد عليه رسول الله ﷺ اليهود حين قدم المدينة -كما مر بنا قريباً- أن يلتزموا بدفع قسط من نفقات الحرب عن المدينة إذا دهمها عدو [(٣)]، فإذا كان هذا متعيناً على اليهود لكونهم فقط يشاركون المسلمين في استيطان المدينة فإنه يكون في حق المسلمين أشد تعيّناً؛ لكون القتال أصلاً متوجهاً

(١) صحيح مسلم ١٠٠١/٢ (١٣٧٤). وكتاب: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة/صالح الرفاعي ٢١٥ -٢٣٢ ومواضع أخرى، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٢) تفسير ابن سعدي ٣٧٤/٢، ٣٧٥.

(٣) انظر فيما تقدم مبحث: تأمين الجبهة الداخلية للوطن الجديد.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لهم بسبب دينهم، كما أن اليد العليا والدولة في المدينة لهم.

وقد جاءت نصوص الشريعة ببيان فضل الحراسة في سبيل الله، ومنها قوله ﷺ : [**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**] (١)، وقوله: [**حرم على عينين أن تناهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر**] (٢).

وقد مارس رسول الله ﷺ هذا الأمر عملياً هو أصحابه ﷺ:

ومن ذلك أنه جعل عبد الله بن عمر ﷺ في غزوة أحد ضمن حرس المدينة بعد أن استبعده من المشاركة في القتال لصغر سنه (٣).

وفي غزوة الخندق رتب ﷺ حرساً على المدينة يتناوبون حراستها، بقيادة كل من سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل (٤).

كما ورد أن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قاما مرة بحراسة المدينة ليلاً (٥).

وأن أهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم رسول الله ﷺ وقد سبقهم إليه واستبرأ لهم خبره وطمأنهم قائلاً:

---

(١) سنن الترمذي ١٧٥/٤ (١٦٣٩)، وصحيح الجامع للألباني ٧٥٦/٢ (٤١١٣).

(٢) المستدرك ،الحاكم ٩٢/٢ (٢٤٣١)، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ومسند عبد بن حميد ٤٢٢/١ (١٤٤٧)، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وصحيح الجامع للألباني ٦٠٠/١ (١٣١٣٦).

(٣) الإصابة ٨٢/١ (٣١٧).

(٤) طبقات ابن سعد ٦٧/٢.

(٥) المستدرك ٤ / ٤١٩ (٨١٣٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

[لم تُراعُوا لم تُراعُوا] [١].

ومن القواعد المقررة شرعاً عند الفقهاء: أن الجهاد يصبح متعيناً على من نزل ببلده عدو [٢].

والدفاع عن الأوطان لا يكون بالسنان فقط كما قد يتوهم، بل قد يكون بالسنان، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالبنان والبيان، وتقدر كل حالة بقدرها، حسب الظروف والقرائن التي تحتف بها، بما هو أجدى وأنفع في حلها.

النبي ﷺ يعاقب على بعض الجرائم في المدينة بالطرد منها والجلاء عنها

فعل ذلك ﷺ مع يهود بني النضير في المدينة، فأجلاهم عنها وطردهم منها، عقوبة لهم على غدرهم بالمسلمين، وخيانتهم لهم، ونقضهم العهود والمواثيق المبرمة معهم [٣]، كما طبق العقوبة نفسها على بعض مشركي مكة يوم الفتح، الذين بقوا على دينهم ولم يقاتلوا المسلمين، ممن ساهموا في إخراج المسلمين من قبل من وطنهم (مكة)، جزاءً وفاقاً، امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ﴾ (البقرة: ١٩١)، أي أن فتنة الإخراج من الوطن أشد ألماً وأعظم أثراً من القتل؛ لما فيه من المحنة والبلاء الذي ينزل بهم يتعذبون به ويتمنون معه الموت وليسوا بميتين،

(١) صحيح مسلم ١٨٠٢/٤ (٢٣٠٧)، وسنن ابن ماجة بتحقيق الأعظمي١٣٠/٢، ١٣١ (٢٧٩٨)، شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)، ط٢، الرياض، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، وسنن ابن ماجة بتحقيق الألباني ٤٧١ (٢٧٧٢)، مكتبة المعارف، ط١، الرياض.

(٢) انظر: المغني ٨/١٣ ، تحقيق التركي، والحلو، هجر للطباعة، ط٢، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢، وفتح الباري ٤٥/٦، ونيل الأوطار ٢٥/٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١٩٩/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومنه قول الشاعر:

لقتل بحد السيف أهون موقعًا على النفس من قتل بحد فراق

وقد قيل لحكيم: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى معه الموت [١].

ومصداق ذل أن الله تعالى قرنه بقتل النفس في غير ما آية من كتابه قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ (النساء: ٦٦)، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (البقرة: ٨٤)، وقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ ...﴾ (البقرة: ٨٥)، إلى أن قال: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ (الحشر: ٣)، وقال: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: ٨)، وقال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ (الممتحنة: ٩).

ولهذا فقد جعله الله في الإسلام عقوبة على بعض الجرائم، منها:

---

(١) الكشاف للزمخشري ١١٨/١، والبحر المحيط لأبي حيان ٧٤/٢، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م. وتفسير أبي السعود ٢٠٣/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وتفسير الألوسي ٧٥/٢.

(٢) بدائع الفوائد ٨٤/١، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١.الزنى :

جعل الإسلام عقوبة الزاني غير المحصن (البكر) الجلد مئة جلدة، والتغريب عن الوطن لمدة عام، وقد جلد ﷺ وغَرَّبَ، وكذلك أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عن الجميع، وقد غَرَّبَ عمر إلى الشام، وغَرَّبَ عثمان إلى مصر، وغَرَّبَ علي إلى البصرة[١]. وعلة التغريب: إيحاش المُغَرَّب بالبعد عن الأهل والوطن [٢]. قال ابن العربي: ((يرجى عند تبديل المحل تبديل الحال، ومن المعلوم أن للمجاورة تأثيرًا في الطاعة والمعصية)) [٣]. ومن كان غريبًا لا وطن له غُرِّب إلى غير البلد التي واقع فيها المعصية [٤]، واستثني من التغريب الأمة إذا زنت، لأنه لا وطن لها، كما أن في نفيها قطع حق سيدها من الانتفاع بها [٥].

٢.الحرابة :

جعل الإسلام الإبعاد عن الوطن إحدى العقوبات التي تطبق في حق المحاربين، إما على التنويع أو على التخيير، على خلاف بين أهل العلم في ذلك، ليس هذا محل التفصيل فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي

(١) سنن الترمذي ٤/ ٤٤ (١٤٣٨)، والمغني ٣٢٢/١٢ -٣٢٦، والروضة ٣٠٥/٧ -٣٠٩، ويل الأوطار ٢٤٩/٧ -٢٥٦، وسبل السلام للصنعاني ٦/٤ -١٠، تحقيق أبو الفتح البيانوني وخليل ملا خاطر، مطبوعات جامعة الإمام، ط٢، الرياض، ١٤٠٠هـ، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني ١٨١/٤، دار الفكر، بيروت.

(٢) مغني المحتاج ١٨١/٤.

(٣) فتح الباري ١٧١/١٢.

(٤) سبل السلام ١٠/٤.

(٥) صحيح البخاري وانظر معه الفتح ١٧١/١٢، ١٧٢ (٦٨٣٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ (المائدة: ٣٣)، وفي حين يرى البعض أنه ينبغي أن يحبس في البلدة التي ينفى إليها، وآخرون يرون أنه يكتفى بحبسه في بلده، فإن رأي الإمام الشافعي رحمه الله أن في النفي من البلد ومفارقة الوطن والعشيرة من الخذلان والذل ما يكفيه[١].

٣. أهل المعاصي والمخنثين[٢]:

ثبت من فعل النبي ﷺ ومن بعده نفي بعض أهل المعاصي والمخنثين[٣]، تعزيرًا لا حدًا، وهو الفرق بينه وبين ما قبله في حق المحارب والزاني غير المحصن، قال شيخ الإسلام: ((والتعزير أجناس... ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن...))[٤]، وقال تلميذه ابن القيم: ((والتعزير منه ما يكون... بالنفي عن الوطن...))[٥]، وقال النووي: ((ثبت في الحديث نفي المخنثين وهو تعزير))[٦].

وفي الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال: [**لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم، وأخرج فلاناً، وأخرج عمر فلاناً**][٧].

وفي الباب أحاديث أخر ذكرها الحافظ ابن حجر وغيره، وذكر

---

(١) صحيح البخاري وانظر معه الفتح ١١٢/١٢، ١١٣ (٦٨٠٢)، ونيل الأوطار ٣٣٦/٧، ٣٣٧، والآية رقمها [٣٣] من سورة المائدة.

(٢) ترجم البخاري لأحد أبواب كتاب الحدود بـ (باب نفي أهل المعاصي والمخنثين) انظر: فتح الباري ١٦٥/١٢.

(٣) السابق.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠٧/٢٨.

(٥) الطرق الحكمية لابن القيم ٢٦٣، تحقيق أحمد الزعبي، دار الأرقم، ط١ بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

(٦) روضة الطالبين ٣٠٩/٧.

(٧) صحيح البخاري مع الفتح ٣٤٦/١٠ (٥٨٨٦)، ١٦٥/١٢ (٨٦٣٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المُبْهَمَيْن في هذا الحديث، كما ذكر غيرهما ممن نفاه النبي ﷺ، وعلّة نفيهم، وقال: ((في هذه الأحاديث مشروعية إخراج كل من يحصل به التأذي للناس عن مكانه إلى أن يرجع عن ذلك أو يتوب)) [(١)].

وهو تشريع كان معمولاً به في الجاهلية [(٢)].

وقد سلط الله هذه العقوبة على بني إسرائيل من قبل حين عصوا رسله، وكذبوا أنبياءه، وقتلوا بعضهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (الأعراف: ١٦٧)، فإن سوء العذاب الذي توعد الله به بني إسرائيل في هذه الآية هو الحرمان من الوطن -في قول -وهو حاصل في الدنيا، وممتد إلى يوم القيامة، قال الرازي: ((وهذه الآية نزلت في اليهود على أنه لا دولة لهم، ولا عز، وأن الذل يلزمهم، والصغار لا يفارقهم)) [(٣)].

قلت: وهذا الذي ذكره الرازي يشهد التأريخ على صحته، فإنه لم يعرف لليهود عبر تاريخهم الطويل دولة، ولا كيان، ولا حضارة كسائر الأمم، وكانوا على مر الأيام قذًا، وشجًا، ووباءً، تتقاذفه الأمم، ابتداءً من حرمانهم من دخول الأرض المقدسة، زمن موسى عليه السلام، حتى انقرض ذلك الجيل، ثم قهرهم على أيدي الملوك من اليونانيين، والكلدانيين، والآشوريين، إلى أن صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم[(٤)]، ومرورًا بالسبي الذي

(١) انظر: فتح الباري ٢٤٥/٩، ٢٤٦، ٣٤٦/١٠، ٣٤٧، ٥٦٠، ١٦٥/١٢، ١٦٦.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٦٤/٢، ٦٥، واللسان ٧٧/٨ (خلع)، وفتح الباري مع الصحيح ٢٥٢/١٢، وانظر معه الحديث رقم (٦٨٩٩) ٢٤٠/١٢، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٤٨٩/٥، ٤٩٠، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٣٨٠هـ.

(٣) تفسير الرازي ٣٥/١٥.

(٤) تفسير ابن كثير ٩٨/١، ٤٠/٢، ٢٥٩، والتبشير والاستعمار لعمر فروخ وزميله ١٧٩، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٢م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تعرضوا له على أيدي البابليين، زمن بختنصر، والجلاء من بلاد الشام، على أيدي الرومان[١]، والجلاء من المدينة على أيدي المسلمين[٢]، ثم من جزيرة العرب زمن عمر الفاروق ﷺ[٣]، وانتهاءً باضطهادهم في العصور الحديثة على أيدي النازيين[٤]، ثم اتفاق أوروبا وأمريكا أخيرًا على الخلاص منهم بالقذف بهم في نحور المسلمين[٥]، ((ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصارًا للدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام، وذلك آخر الزمان)) [٦].

وهذا أعظم دليل على ملازمة الذل والصغار لهم حتى ذلك الوقت المتأخر من الزمان، وإن تخلل ذلك فترات ظهور لهم أحيانًا في بعض أدوار التاريخ، إلا أنه يظل ظهورًا مؤقتًا نتيجة ضعف المسلمين من جهة، وانخداع غير المسلمين بهم، وخضوعهم لهم من جهة أخرى؛ لسيطرتهم على المال والإعلام في تلك المجتمعات، حتى أفسدوا عليهم أخلاقهم وعقولهم، ودفعوهم لتنفيذ مخططاتهم، إلا أنه بمجرد أن يعود المسلمون إلى دينهم كما يجب -ونرجو أن يكون قريباً -، ويظهر للعالم زيف اليهود

(١) قضايا هامة لمحيي الدين القضماني ١٩، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، دمشق، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م، ويثرب قبل الإسلام لمحمد السيد الوكيل ٣٩، ٤٠، دار المجتمع، = = ط١، جدة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري ٢٢٧/١، والمفصل لجواد علي ٥١٧/٦، ٥١٨

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٥٠/٣، ١٩٩، ٢٤٤، والسيرة الصحيحة لأكرم العمري ٢٩٩/١ -٣١٧.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٥٤٠/٤ (٢٢٨٦)، ٣٨٥/٥ (٢٧٣٠).

(٤) حاضر العالم الإسلامي لجميل المصري ٣٢٧، ٣٤٠، دار أم القرى، ط٢، عمّان، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

(٥) التبشير والاستعمار لعمر فروخ وزميله ١٧٩، ١٨٢، وحاضر العالم الإسلامي لجميل المصري ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٩.

(٦) تفسير ابن كثير ٢٥٩/٢، وفي صحيح مسلم ٢٢٦٦/٤ (٢٩٤٤)، **[يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً]**. وفي المصنف لابن أبي شيبة ٤٩٩/٧، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط١، الرياض، ١٤٠٩هـ، ما ذكر في فتنة الدجال (٣٧٥٢٧): **((** أكثر أتباع الدجال اليهود وأولاد المومسات **))**، وبنحوه في العلل ومعرفة الرجال لأحمد ابن حنبل ٦٣/٣ (٤١٨١)، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، وانظر: فتح الباري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من رأى ترك النكير...) ٣٤٠/١٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومكرهم، وتتكشف حقائقهم، فإن الأمور حتمًا سرعان ما ستعود إلى سابق عهدها، ويعود معها اليهود إلى وضعهم اللائق بهم بين الأمم، من الذل، والصغار، والقتل، أو يحقنوا دماءهم بالرجوع إلى الحق.

مراعاة أحوال غريب الوطن في التشريع الإسلامي

راعى الإسلام غريب الوطن في عدد من تشريعاته، تيسيراً عليه ورفعاً للحرج والمشقة عنه، ومن ذلك:

أنه شرع للمسافر غريب الوطن قصر الرباعية من الصلوات، كما رخص له في الجمع بين صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، في حالات معينة معلومة، ليس هذا محل التفصيل فيها، وينتهي العمل بهاتين الرخصتين بالرجوع إلى الوطن، أو اتخاذه وطنًا جديدًا غير وطنه الأصلي[(١)].

كما تسقط عن المسافر غريب الوطن صلاة الجمعة ويصليها ظهراً[(٢)]. أما السنن الرواتب فإنه غير مطالب بشيء منها ما دام مسافراً عدا راتبة الفجر وصلاة الوتر ، اقتداء بفعل النبي ﷺ في السفر[(٣)].

كما شرع للمسافر غريب الوطن الفطر في رمضان ، وينتهي العمل بهذه الرخصة بعودته إلى وطنه ، وإن أقام في البلد الذي سافر إليه وفي

(١) المغني لابن قدامة ١٠٥/٣ -١٤٠، وروضة الطالبين للنووي ٤٨٣/١ -٥٠٥، وفتح الباري ٦٥٣/٢ وما بعدها.

(٢) المغني ٢١٦/٣ -٢١٩، وروضة الطالبين ٥٠٩/١، ٥٣٩.

(٣) في المسألة خلاف بين أهل العلم، انظر: المغني ١٥٥/٣ -١٥٧، ومجموع الفتاوى ٢٧٩/٢٢، ٢٨٠، ١٢٨/٢٣، وزاد المعاد لابن القيم ٣١٥/١، ٣١٦، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، وروضة الطالبين ٤٤٠/١، والمجموع للنووي ٢٨٥/٤، ٢٨٦، تحقيق محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ -١٩٨٥م، وفتح الباري ٦٧٢/٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ونيل الأوطار ٢٦٩/٣، ٢٧٠، وصحيح فقه السنة لأبي مالك ٤٩٠/١، ٤٩١، مع تعليقات ابن باز والألباني وابن عثيمين، المكتبة التوفيقية، مصر.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عزمه السفر، وإنما إقامته فيه لحاجة، ولا يدري متى تنقضي حاجته شرع له الفطر وإن طالت إقامته [١].

ويسقط الحج عن من لم يجد الزاد والراحلة التي تكفل له العودة إلى وطنه، وهي شرط في الاستطاعة عند البعض؛ لأن الإنسان يستوحش بالانقطاع عن الوطن والمقام في الغربة [٢].

ومن لم يجد الهدي في الحج وجب عليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى وطنه ، قال الشافعي رحمه الله في شرح قوله تعالى: ﴿ ...إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ (البقرة: ١٩٦) قال: ((معناه إلى الوطن، فإن الله تعالى جعل الرجوع إلى الوطن شرطًا، وما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط، والرجوع إلى الوطن لا يحصل إلا عند الانتهاء إلى الوطن، فقبله لم يوجد الشرط فوجب ألا يوجد المشروط، ويتأكد ما قلنا بأنه لو مات قبل الوصول إلى الوطن لم يكن عليه شيء)) [٣].

(١) المغني ٣٤٥/٤ -٣٤٩،والمحلى لابن حزم ٣٨٤/٤ -٤١٧، تحقيق عبد الغفار البنداري، دار الفكر، بيروت، وقد جعل ابن حزم رحمه الله الفطر على المسافر فرضًا وعزيمة، وروضة الطالبين ٢٣٤/٢، ٢٣٥، والمجموع ٢٦٩/٦ -٢٧٢، ونيل الأوطار ٣٠٣/٤ -٣٠٨.

(٢) المغني ٨/٥ -١١، والمجموع ٥٥/٧، ٥٦، والفروع لابن مفلح ١٧٢/٣، تحقيق حازم القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ، وتفسير القرطبي ١٤٧/٤.

(٣) تفسير الرازي ١٣٢/٥، ١٣٣، والمجموع ١٨٧/٧ -١٩١، والروضة ٣٢٩/٢ -٣٣٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخـاتمــة

ومما تقدم نخلص إلى النتائج التالية:

نتائج

١ -كان ﷺ يحب وطنه، وهو ما جزم به الإمام الذهبي – رحمه الله – حين عدّد بعض محابّ النبي ﷺ وذكر منها الوطن، فقال: (... ويحب وطنه)[١]، وتستوي في ذلك مكة والمدينة بلا ريب كما دلت عليه الآثار السابقة.

٢ -حب الوطن سجية في النفس كحب الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤)[٢].

وقال الشيخ الألباني -رحمه الله- (حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزي في الإنسان)[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٩٤/١٥، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم ٨٤/١ .

(٣) السلسلة الضعيفة ٥٥/١ (٣٦)، المكتب الإسلامي، ط٥، بيروت، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ويروى في هذا المعنى حديث « حب الوطن من الإيمان »، قال السخاوي في المقاصد الحسنة ٢٩٧، تحقيق محمد الخشت، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ : ((لم أقف عليه ومعناه صحيح)) وقال الألباني: ((موضوع)) انظر السلسلة الضعيفة ٥٥/١ (٣٦)، وانظر تخريجاً موسعًا مع شرح وتوجيه للحديث في كتاب: حب الوطن من منظور شرعي لزيد الزيد ص٥٢ -٥٥، تقديم عبد العزيز آل الشيخ وصالح السدلان، مطبعة سفير، ط١، الرياض، ١٤١٧هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهو إذاً مما يدرك بالفطرة، ولهذا ليس له في الإسلام تشريع معين، لأن الإسلام نفسه دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: ٣٠)، فالأصل إذاً أنهما متفقان، وليس بينهما اختلاف، لكنه إذا كان صارفاً للإنسان عن حب الله ورسوله وجهاد في سبيله فإنه يصبح وبالاً على صاحبه ، ويكون حينئذ على غير سنن الفطرة وعلى غير هدى الإسلام.

وقد أساء إلى هذه الفطرة في العصور المتأخرة فئتان:[1] فئة اتخذته مطية للنيل من الدين وأهله تمهيداً لإقصائه من الحياة العامة، وهم دعاة القومية والوطنية، وفئة قامت ضدهم غيرةً للدين وأهله، يلعنون الأوطان وما قرب إليها من قول أو عمل، حتى أصبح الحديث عن الوطن عند هؤلاء حديثاً مشوباً بالحذر، يبعث على الريبة والشك في قائله.

وكلا الفئتين متطرف في موقفه، والموقف الوسط من الوطن هو ما وافق الشرع والعقل والفطرة على حد سواء، ولا عبرة بعد ذلك بالمخالف،

وحديث ((دع القلوب تقر)) وفي لفظ ((حسبك يا أصيل لا تحزنا)) رواه الأزرقي في أخبار مكة ١٥٥/٢، والخطابي في غريب الحديث ٢٧٨/١، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، وابن حجر في الإصابة ٥٣/١ (٢١٣)، وغيرهم، وهو حديث ضعيف، أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ٢٩٨، والعجلوني في كشف الخفاء ٤١٤/١ (١١٠٢)،تصحيح وتعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، وانظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، علي حسن الحلبي وآخرون ٤٠٠/٦ (١٥٦٤٦)، مكتبة المعارف، ط١، الرياض، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

وحديث ((الخروج عن الوطن عقوبة)) ذكره الجاحظ في المحاسن والأضداد ١٢٤، تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، ط٢، بيروت، ١٤١٨هـ، وإبراهيم بن محمد البيهقي في المحاسن والمساويء (٣٠١)، دار صادر، بيروت، بدون إسناد، ولم أقف عليه عند غيرهما من المتقدمين، ولا من المتأخرين المعنيين بتخريج الأحاديث والحكم عليها.

وفيما ذكر من أحاديث وآثار صحيحة غنية عن الضعيفة والموضوعة وإن كان معناها صحيحًا.

(١) ستكون هاتان الفئتان مع الفئة الوسط الثالثة موضوع بحث مستقل قادم إن شاء الله تعالى .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فإن الناس لا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك[١].

٣ -يحتاج الإسلام إلى ملاذ آمن، ينمو في كنفه، ويكبر في أحشائه، وينطلق منه ، ويأوي إليه ؛ ليمارس فيه أتباعه التعليم، والدعوة، والتبليغ، والجهاد، وسائر مناشط الحياة، وهذا الملاذ هو ما اصطلح على تسميته بـ(الوطن).

٤ -يمثل الانتماء إلى الوطن في الإسلام شكلاً من أشكال الجماعة، التي جاءت تعاليمه تشد من أزرها، وتؤكد عليها، وفق ضوابط شرعية وحدود مرعية، وقد استثمر المسلمون الأوائل ذلك في تحقيق مصلحة الجماعة في عدد من المناسبات والظروف المختلفة في إعداد الجيوش وترتيبها في المعارك، وفي تنظيم الناس في العطاء، وفي تخطيط المدن، وفي حفظ الأمن، وفي تنظيم علاقة الراعي بالرعية، وفي غيرها من المناسبات التي لا تخفى على المتأمل.

٥ -لا بأس في الإسلام من تعدد الأوطان، إذا كان لغرض شريف وغاية نبيلة، قال ﷺ : [**من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**] [٢]، ولكن لا يحمله استيطان بلد على بغض آخر، أو الحط من قدره، أو النيل منه، أو التسخط عليه وعلى أهله؛ وإنما يحب الخير لسائر الأوطان، وأهل تلك

(١) انظر: نقد القومية العربية لابن باز رحمه الله، المكتب الإسلامي، ط٤، بيروت ودمشق ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، وحقيقة القومية العربية لمحمد الغزالي رحمه الله، مطبعة حسان، ط٣، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م، وفكرة القومية العربية لصالح العبود، دار طيبة، ط١، الرياض، والإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين، دار النهضة العربية، ط٣، بيروت، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م، والتبشير والاستعمار في البلاد العربية لمصطفى خالدي وعمر فروخ، ومذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، دار الشروق، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، بيروت ... وغيرها.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٥/١ (١)، وصحيح مسلم ١٥١٦/٣ (١٥٥/١٩٠٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأوطان، على اختلاف مشاربهم، وألوانهم، وأجناسهم، ورأس الخير الذي يرجوه لهم (الإسلام)، فالمكان لا يذم لذاته ولو تلبس بغير لبوس الإسلام واضطر المسلم إلى هجره والبعد عنه، ولا مانع من العودة إلى الوطن الأم إذا صلحت أحواله[1]، بل إن ذلك يصبح مطلبًا ملحًا، يدل على العقل والحكمة، وسلامة الفطرة، فإن أولى الناس ببرك وإحسانك هم أهلك وخاصتك الذين نشأت فيهم.

٦ -المواطنة في الإسلام حق مكتسب لسائر الناس، في سائر البلدان، بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، إلاَّ في جزيرة العرب فلا يسكنها على سبيل الإقامة الدائمة إلاَّ المسلمون دون غيرهم.

٧ -عني الإسلام بالوطن في عدد من تشريعاته، وجعل للمسافر غريب الوطن من الأحكام ما يلائم ظروف سفره، تيسيرًا عليه، ورفعًا للمشقة والحرج عنه.

٨ -الوطن في الإسلام ليس معتقلاً لا يجوز الخروج منه، بل يخرج الإنسان من وطنه، لتبليغ الدعوة، وتعليم الناس، والجهاد، وكسب الرزق، وطلب العلم، وقضاء الحوائج والمصالح المختلفة، بحرية كاملة، وبدون قيود، قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العُلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تَفَرُّجُ هَمٍّ واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد[2]

(١) الاستذكار ٧/٢٧٦.

(٢) ديوان الشافعي ٤١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقال أبو إسحاق الألبيري:

لله أكيـــاس جفـــوا أوطـــانهم فـالأرض أجمعهـا لهـم أوطـان

جالـت عقـولهم مجـال تفكـر وجلالـة فبـدا لهـا الكتمـان

ركبت بحار الفهم في فلك النُهى وجـرى بهـا الإخـلاص والإيمـان

فرسـت بهـم لمـاّ انتـهوا بجفـونهم مرسـى لهـم فيـه غنـى وأمـان[1]

٩ -إخـراج النـاس مـن أوطـانهم إمـا أن يكـون بوجـه حـق تنفيـذاً لأوامـر شرعية وتعاليم ربانية، عقوبة على جرائم معينة، وإما أن يكون بغير وجه حق، ظلماً وعدواناً، وقد قرنه الله في هذه الحالة بقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

١٠ -للوطن على أهله حقوق يجب أن تراعى، وقديماً قال الشاعر:

وللأوطـــان في دم كـــل حـــر يـــد ســـلفت وديـــن مســـتحق [2]

وقـال حكـيم: ((احفـظ أرضـاً أرسـخك رضـاعها، وأصـلحك غذاؤها، وارع حمىً اكتنفك فناؤه، وروّحك هواؤه)) [3].

وقـال آخـر: ((إذا أردت أن تعـرف الرجـل فـانظر كيـف تحنّنـه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه)) [4].

(١) نفح الطيب للتلمساني ٣٤٥/٤،٣٤٦، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

(٢) الشوقيات ٧٥/٢، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

(٣) المحاسن والأضداد /الجاحظ ١٢٢، ومحاضرات الأدباء للأصفهاني ٦٥٢/٢، تحقيق عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

(٤) كشف الخفاء ٤١٥/١. وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٨/٣٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويروى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : ((لولا حب الوطن لخرب بلد السوء)) [١].

وقال الشاعر:

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

ونستعذب الأرض التي لا هواء بها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن [٢]

وقال آخر:

خشونة عيشتي في البدو أشهى إلى نفسي من العيش الطريف

فما أبغي سوى وطني بديلاً فحسبي ذاك من وطن شريف [٣]

ومما تقدم في ثنايا البحث من نصوص وآثار وأخبار يمكننا القول بأن لوطنك – الذي تفيأت ظلاله، وتنسمت هواءه، ورضعت ألبانه، وسلكت دروبه وفجاجه وسهوله ووهاده، وتقلبت في مساجده ومدارسه وجامعاته، وأمنت فيه على دينك ونفسك ومالك وعرضك، وأنفقت من درهمه ودينار – حقاً عليك أن تغار عليه، وتشيد به، وتذكره بالمعروف، وتدعو له، وتدافع عنه، وترد الشبه الباطلة عنه، ولا تستحي من الانتساب إليه، وأن تسهم في بنائه بحسب الجهد والطاقة، بمختلف أنواع وأوجه البناء، لا تحقر من ذلك شيئاً، وليس لأكثره حد.

(١) المحاسن والأضداد /الجاحظ ١٢٢.

(٢) المستطرف ، الأبشيهي ٢٦/٢ ، بإشراف المكتب العالمي للبحوث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣) تاريخ دمشق ٩٥/٧٤. وخزانة الأدب ٢٥٨/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبذلك تكون قد عملت بمقتضى تعاليم دينك، ولبيت نداء العقل والفطرة، وقضيت لوطنك بعض الذي عليك.

وبعكس ذلك يكون العقوق والغواية والضلال الذي ينبيء عن خسة في الطباع، وسوء في الأخلاق، ونكران للجميل، ومرض في الصدور، يستوجب من صاحبه وقفة صادقة مع نفسه، ومراجعة شجاعة لأفكاره ومواقفه.

هذا ما تيسر جمعه في هذا الموضوع الهام، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي، أستغفر الله منه وأتوب إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

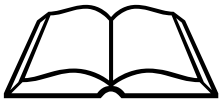

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة